نهاية التاريخ

تأليف

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا اللذين ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ الذي خلقكم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ الذي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾[النساء: ١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا اللذين ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أعمالكم وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ ورسوله

فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

نهاية التاريخ![1] هذا العنوان مستعار من كتاب، طبع في أمريكا ووزع في أنحاء العالم وترجم إلى اللغات الحية بما في ذلك اللغة العربية، وأحدث ضجة كبيرة .

ومؤلف الكتاب رجل ياباني الأصل أمريكي الجنسية والمولد، اسمه فرانسيس فوكوياما، أما المترجم العربي فهو د.حسين الشيخ، وقد طبعت الترجمة العربية للكتاب في دار العلوم العربية في بيروت، في قرابة ثلاثمائة صفحة.

فكرة الكتاب:

فكرة هذا الكتاب بسيطة إلى حد السذاجة كما يقول أحد المحللين، وهي تعتمد على أن المؤلف يقول وهو يحتفل بسقوط الشيوعية وانهزامها ودفنها: إن الديموقراطية الغربية قد انتصرت،

---

(1) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيت ليلة الاثنين السادس من شهر ربيع الأول من سنة ١٤١٤ هـ وقد أعيد تنقيحها بعد ذلك .وهي الدرس السادس والتسعون من سلسلة الدروس العلمية العامة.

وانتصرت معها أمريكا والغرب، ولم يعد أمام العالم ما ينتظرونه من جديد، لقد حدث الجديد فعلاً، وهو انهيار الماركسية، وتفكك الاتحاد السوفيتي، وانتشار الديموقراطية الليبرالية الحرة في العالم، بما في ذلك الدول الشرقية التي كانت تابعة للمنظومة الشيوعية، ولهذا فقد أغلق باب التاريخ فلا جديد بعد اليوم إلا في حدود بعض الإصلاحات والتغييرات الطفيفة هنا أو هناك.

هذه فكرة الكتاب! يعبر عنها المؤلف فيقول:

"ليس هناك أيدلوجية أو عقيدة يمكن أن تحل محل التحدي الديموقراطي الغربي الذي يفرض نفسه على الناس، لا الملكية، ولا الفاشية، ولا الشيوعية، ولا غيرها.

حتى أولئك الذين لم يؤمنوا بالديموقراطية ولم يتبنوها كمنهاج لحكمهم أو حياتهم أو عملهم، سوف يضطرون إلى التحدث بلغة ديموقراطية، ومجاملة التيار من أجل تبرير الانحراف والدكتاتورية والتسلط الذي يمارسونه".

أما الإسلام، فإن المؤلف يتحدث عنه بلغة مختلفة بعض الشيء،

فهو يقول: "يمكن أن نستثني الإسلام من هذا الحكم العام، فهو دين متجانس، دين منتظم، وهو قد هزم الديموقراطية في أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي، وشهدت نهاية الحرب الباردة بين الغرب والشرق تحدياً سافراً للغرب على يد العراق".

فهو إذن يعتبر التحدي العراقي يتضمن تحدياً إسلامياً باعتبار الموروثات الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط.

هذا الدين الإسلامي، يقول المؤلف : "على رغم جاذبيته العالمية وقوته إلا أنه ليس له جاذبية خارج المناطق ذات الثقافة الإسلامية، فالشباب مثلاً في برلين أو طوكيو أو موسكو أو واشنطن لا يجذبهم الإسلام، وإن كان يؤمن به أعداد من الذين يعانون ظروفاً صعبة، أو من الساخطين على الأوضاع العامة هنا أو هناك".

ثم يقول: "أصبح من الممكن أن نخترق العالم الإسلامي بالأفكار التحررية الغربية، وأن نكسب أنصاراً داخل المسلمين ممن يؤيدون الليبرالية الغربية أو العلمنة الغربية".

هذا التوقع الذي طرحه المؤلف في كتابه (نهاية التاريخ) هو مجرد حلم لذيذ، أو توقع محتمل على أحسن الأحوال في ظنه!

الرأي الآخر:

أما الآخرون فيقولون خلاف ذلك، فإن هذا الكلام الذي قاله، قاله من قبله هتلر حينما تحدث عن الرايخ الثالث الذي سيعيش ألف عام على حد زعمه! ولكن هذا التوقع اصطدم بالواقع المخالف تماماً لما يقول.

ومثل ذلك الماركسية التي كانت تتحدث عن انتصار اليوتوبيا وقيام جنة دنيوية وفردوس ينتظم العالم كله تحت ظل الشيوعية، فإذا بالشيوعية لا تعيش أكثر من سبعين سنة، وهي عمر إنسان عادي ليست عمر دولة أو أمة أو معتقد، ثم في ظل تلك السنوات القصيرة عاش العالم الشرقي تحت الشيوعية حياة بئيسة كئيبة، ومثل ذلك نبوءة شفلنجر عن انهيار الغرب. إذن هي مجرد أوهام، أو أحلام لذيذة مخدرة يتوقعها هؤلاء الكاتبون.

وقد أثار هذا الكتاب زوبعة كبيرة، وكتبت عنه مئات

الصحف في أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وكتب عنه كاتبون كثيرون، بعضهم قساوسة، وبعضهم مفكرون اجتماعيون أو سياسيون انتقدوا هذا الطرح الأمريكي المتطرف، واعتبروا أن الكاتب بسيط إلى حد السذاجة، وأن ما قاله لا يعدو أن يكون احتفالاً بسقوط الشيوعية ولا يملك مقومات النظرية العلمية الصحيحة.

أما نحن فنعتقد أن الواقع هو عكس ما بشر به هذا الكتاب، فنحن نستقبل بشائر سقوط الحضارة الغربية ولن تكون هذه نهاية التاريخ، ولكنها مرحلة من مراحله.

وقبل أن نتاول هذا الموضوع، يحسن بنا أن نجيب على تساؤلين :

- **الأول: لماذا هذا الموضوع المهم؟**

- **أولاً**: نتحدث عن هذا الموضوع؛ لأن الذي يتكلم اليوم عن الغرب هو كمن يحمل معوله ويحطم الأصنام، وقد سن لنا إبراهيم أبو الحنفاء –عليه الصلاة والسلام– هذه السنة، فأخذ معوله وقام

إلى كبير الأصنام فضربه حتى جعله رفاتاً.

فالذي يتحدث عن سقوط الغرب اليوم هو كمن يحطم الأصنام ويكشف لعابديها زيفها، وأنها لا تضر ولا تنفع ولا زال فئام من المسلمين مبهورين بما عند الغرب، ولا يملكون أي شيء متميز، ولأنه بعد أن سقطت الشيوعية سقطت دولها في العـــالـــم الإسلامي، وسقطت أحزابها، ومفكروها، فإننا بحاجة إلى أن ننبه الذين ربطوا أنفسهم بالغرب، فجعلوا سياستهم مـــن سياسة الغرب، واقتصادهم من اقتصاده، وقراراتهم مرهونة بقراراته؛ بل برغباته، وأصبحوا غربيين أكثر من الغرب نفسه، وأصبحوا عبئًا على بلاد المسلمين وعلى أمم الإسلام أكثر من الغرب نفسه، فنحن بحاجة إلى أن ننبه هؤلاء إلى قول الله تعالى:

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥٢].

نحن بحاجة إلى أن نؤكد لهؤلاء، بل لجميع المسلمين، أنه ليس أمام الجميع إلا أن يعتصموا بالله جل وعلا كما أمر سبحانه، وأن

يعتصموا بالحل الإسلامي الذي شرعه ربنا تبارك وتعالى، وأنه لا مخرج لهم أفرادًا أو حكومات إلا بذلك.

• **ثانياً**: وهذا يقودنا أيضاً إلى أمر آخر، وهو : أن المسلمين يملكون الحل من خلال دينهم ومنهجهم المُنَّزل من عند الله.

فهم يملكون إقامة النظام الدولي على أساس العدالة الإسلامية، ويملكون إصلاح الاقتصاد، واستبدال الاقتصاد الشرعي بالربا، ويملكون حماية المجتمعات الغربية والشرقية من الفساد، وتحطيم الأسرة، وضياع الشباب، والمسلمون يملكون قبل ذلك كله وبعد ذلك كله، العقيدة الربانية التي تملأ قلب الإنسان وعقله فيطمئن لها ويؤمن بها وإذا حاد عنها أو ابتعد أصابه الهم والغم والكـــرب والتردد.

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ [ق: ٥]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ

هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ له مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤].

المسلمون يملكون ذلك كله، وعليهم أن يقدموا ذلك عملياً من خلال النماذج الواقعية، ونظرياً من خلال الدراسات، ولكن الواقع أن المسلمين حجبوا ذلك كله بسوآتهم العظام، بتأخرهم العلمي، وتفريطهم في الدين، وإهمالهم الدعوة إلى الله تعالى، وبالخلاف المستشري بينهم، وبسيرهم في ركاب الغرب، فقد آمن الغرب أن المسلمين لا يملكون شيئاً، إذ لو كانوا يملكون شيئاً ما جاءوا يتطفلون على موائده، ويأخذون من حضارته ويقلدونه في الدقيق والجليل.

- **ثالثاً:** نحن نطرح هذا الموضوع من أجل حماية المصالح الإسلامية المرتبطة بالغرب اقتصاداً وسياسة وإدارة وإعلاماً وتعليماً، فعلى المسلمين أن يدركوا الهوة التي يتجه الغرب إليها حتى يخلصوا أنفسهم من ركابه ومن قيوده.

- **وأخيرا:** فإننا نعالج هذا الموضوع من باب قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ ورسوله وَصَدَقَ ٱللَّهُ ورسوله ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

لنؤكد على أن السنة الربانية قائمة على أمريكا، وعلى أوروبا، وعلى الغرب كما هي قائمة على غيرهم، قريبة غير بعيدة.

وحينما نقول قريبة فنرجو ألا يذهب أحد ليدير جهاز المذياع وهو يتوقع أخباراً عن سقوط الغرب، فإن السنوات في عمر الأمم لحظات، ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: 47].

نطرح هذا الموضوع، لتطمئن قلوب المؤمنين، ويعلموا أن نصر الله تعالى آت، وأن تلك القوى التي سخرت إمكانياتها لحرب الإسلام والمسلمين، والحيلولة دون انتصار الحل الإسلامي، والوقوف في وجه أي أمة من المسلمين تريد أن تحكم ذاتها، أن

هذه القوى سوف تزول، وسوف يكتب الله تعالى النصر للمؤمنين.

- **الثاني: من أين نبدأ ؟**

إن طرح هذا الموضوع صعب جدا لأسباب:

- **أولاً**: من حيث كثافة المادة العلمية، حتى إن مجرد عرض المراجع المتوفرة في هذا الموضوع يستغرق زمناً طويلاً، فهناك مئات الكتب وآلاف المحاضرات وعشرات الآلاف من الدراسات والتحليلات، بل مئات الآلاف من الأخبار اليومية والتقارير الطويلة أو القصيرة عن هذا الموضوع، فكيف تستطيع أن تنتقي مادة مناسبة لطرحها في رسالة صغيرة بهذا الحجم من بين هذا الركام الكثير؟!

- **ثانياً**: هو أيضاً صعب من حيث طبيعة الموضوع، فهو موضوع متشابك ومعقد إلى حد بعيد، إذ إن الحديث مثلا عن موت شخص أمر سهل، لكن الحديث عن تراجع كيان بأكمله وهو كيان ضخم هائل ليس بالأمر اليسير!

ليس سقوط الحضارة أو الدولة كسقوط فرد مثلا أو تغير حكومة يتم من خلال يوم أو شهر أو سنة! السقوط عملية بطيئة، وأسباب القوة الموجودة في القوى الغربية لا تزول كلها دفعة واحدة، منها ما يظل يقاوم عوامل الضعف ويصمد لفترة طويلة، وقد يتوقف الهبوط أحياناً وقد يحدث ارتفاع طفيف، لكن المؤشر النهائي يدل على سقوط وتراجع مستمر.

ولذلك فإن فرداً عادياً قد يصعب عليه متابعة ذلك بشكل جيد، وأن يربط الأحداث بعضها ببعض، ويفهم منه تلك التي لا تمس الموضوع بشكل مباشر.

- **ثالثاً**: هو أيضا صعب من حيث إنه عبارة عن مثال واحد لسنن إلهية حقت على الكافرين وعلى الأمم كلها من قبل.

فكيف يمكن الجمع بين هذا الأمر بالتحليل العلمي الذي يكون أحياناً فوق مستوى فهم الإنسان العادي وإدراكه، مع تبسيطه التبسيط المناسب والملائم لواقع حال جمهور المسلمين الذين يحتاجون إلى هذا الموضوع؟

إلا إن الأمر الذي يمكن تبسيطــه وتلخيصه هو أن مسألة تقهقر الغرب هي الهم السائد لدى غالبية الناس، والشعور بذلك شعور مشترك كامن في أعماق الإنسان الغربي والشــرقــي على حد سواء، بل هو أمر ظاهر يتكلم عنه الجميع.

الفصل الأول

سقوط الحضارة الغربية .. الحتمية والصور المتوقعة

- **أولاً: حتمية سقوط الحضارة الغربية شرعاً وتاريخاً وفطرة:**

لقد أتى حين من الدهر كانت النظرة إلى الحياة الغربية نظرة انبهار، ينظر إلى هذه الحضارة على أنها الأعظم، وإلى قوتها على أنها الأغلب، وإلى سبقها على أنه السبق الذي لا يلحق.

ولم يكن الحديث عن سقوطها وانحسارها وارداً ولا مقبولاً، إلا أن قلة من ذوي البصائر النافذة تجاوزوا هذا الإسار الفكري.

وكان منهم الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - فقد كتب مقالته الشهيرة (**انتهى دور الرجل الأبيض**) معلناً بدايات الانحسار لحضارة الغرب مستنهضا المسلمين إلى أن يكونوا البديل ويقدموا للعالم الحل.

ونحن نرى بدورنا أن سقوط الحضارة الغربية حتمي من نواح عدة:

- **أولاً: من الناحية الشرعية:**

إن التاريخ لم يتوقف لغير فوكوياما حتى يتوقف له، أما الشرع فإن الله تعالى بين لنا في القرآن أن الأيام دول، قال تعالى: ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مثله ۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فالأيام دُوَل، وحتى الدولة الإسلامية، دولة الخلافة، تدرجت بها الأحـــوال حتى سقطت وحل محلها دول أخرى، فما بالك بالدول المادية التي قامت على أساس لا ديني؟! أليست هي أحق وأولى بالسقوط من دول إسلامية؟!

- **ثانياً : من الناحية التاريخية:**

أما من الناحية التاريخية، فإن التاريخ كله كتاب يثبت لنا أن الأمم تتناوب، وأن سنة الله تعالى جارية، والتاريخ شاهد ماثل

للعيان على ذلك، فلم تثبت دولة مهما كانت في قوتها وصولتها واقتصادها ورجالها وكثرتها وكثافتها، بل إنها تسود فترة من الزمن طالت أو قصرت، ثم تبيد بعد ذلك!

- **ثالثاً: من ناحية الفطرة:**

أما من ناحية الفطرة، فإنك ترى أن الإنسان وهو بشر يبدأ صغيرا ثم يكبر وتستمر قوته، ثم تبدأ فيه عوامل الهرَم والشيخوخة، وهكذا بالنسبة للنبات وهكذا الحيوان.

وإذا كان هذا في الأفراد، فالأمم والجماعات عبارة عن مجموعة من الأفراد.

إذن فنظرية الصمود الغربي، لا يمكن أن تصمد للنقد العلمي بحال من الأحوال، والنظرية القائلة بسقوط الغرب صحيحة مائة بالمائة لغة وشرعاً وتاريخاً وواقعاً وفطرة، ولكن، كيف ؟ ومتى ؟ هذا علمه عند ربي!

- **أمراض الحضارة الغربية:**

وبالجملة فهناك قائمة طويلة جداً من الأمراض الفتاكة المزمنة التي تنخر في الجسم الغربي عامة والجسم الأمريكي خاصة.

هناك على سبيل المثال: الأمن واختلاله، فساد الأسرة وتفككها، ضياع الشباب ومشكلاتهم، المخدرات وانتشارها وعصاباتها، الشذوذ الأخلاقي والجنسي، الفقر المدقع في تلك الدول الغنية حتى إنك تجد أنه في عام ١٩٧٨م، كان عدد الفقراء الذين لا يجدون قوت اليوم أي دون مستوى الفقر، ٨٠٠ مليون إنسان، وبعد عشر سنوات ارتفع إلى مليارين من الناس!!

فهؤلاء ملياران من البشر، دون مستوى الحياة الإنسانية العادية من شدة الفقر!

بل في أرقى المدن الغربية والأمريكية تجد من ينامون على الأرصفة، ويأخذون أطعمتهم من صناديق القمامة، وهم يعدون في بعض الولايات بالملايين!

هناك البطالة وارتفاع معدلاتها في أوربا وأمريكا،

وعصابات الإجرام كالمافيا وغيرها، وهي عصابات خطيرة للخطف وللسرقة والاغتيال، ولتعاطي وبيع كل الأشياء بلا استثناء!

أيضاً لديون الفردية فأكثر الأفراد في أمريكا مدينون! والديون الفردية تزيد الآن على ٤,٤ تريليون دولار في أمريكا!

التعليم وانهياره حتى إن كتاباً نتشر بعنوان (أمة معرضة للخطر)، يتكلم عن انهيار التعليم في أمريكا.

الإعلام وخطره. التجسس، والتجسس المضاد.

النعرات العنصرية في أمريكا، والصدام بين البيض والسود مثلاً .

تلوث البيئة، وهو أحد الأمراض الفتاكة - كما أسلفنا -.

الفشل السياسي والفضائح الكثيرة التي تلاحق البيت الأبيض وجميع مراكز الإدارة والسياسة في فرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا، وألمانيا، وفي غيرها.

وإن كان بعض ما سبق مما يختلف على تقدير حجمه وخطره، إلا أن الجميع يتفقون على وجود صعوبات جمة تنتظر المسيرة الغربية بعامة، وأصبحت صرخات الإنذار بذلك تسمع من المفكرين الغربيين أنفسهم.

❑ ثانياً : الصور المتوقعة لسقوط الحضارة الغربية:

ماذا نعني بسقوط الحضارة الغربية أو الأمريكيـــة على وجه الخصوص؟ أو بصيغة أخرى ما هي الصور المتوقعة لسقوط الحضارة الغربية؟

● الصورة الأولى: الحضارة الغربية ستنهار دفعة واحدة، ويخسر البشر بذلك جميع المنجزات الحضارية:

يتصور البعض أن سقوط الغرب، أو أمريكا، أو الحضـــارة الغربية، يعني معنى عاماً شاملاً يترتب عليه تدمير جميع المنجزات الحضارية، وعودة الإنسان كما يقولون إلى العصور البدائية بعيداً عن كل ما تمتع به الإنسان من معطيات حضارية في هذا العصر، وهناك من الغربيين أنفسهم من يطرح هذا الصرح من مختلف

التخصصات، وعلينا أن نتأمل في النماذج التالية:

المفكرون والفلاسفة: فقد كتب الفيلسوف الألماني سبيكر، كتابا عن تدهور الحضارة الغربية، وتوقع مستقبلاً مظلماً للغرب وللعالم كله من وراء الغرب.

ثم جاء العالم الانجليزي جورج اروين، وكتب كتاباً اسمه (العالم عام ٨٤)، وكان كاتباً متشائماً وتوقع أوضاعاً سيئة، لكن الواقع كان أكثر تشاؤماً منه، فإن الأوضاع التي مر بها العالم عام (٨٤) وما بعده كانت أكثر سوءاً وسوداوية وقتامة مما تصوره ذلك العالم الإنجليزي.

ثم كتب الفيلسوف الإنجليزي الآخر أيضاً هولن ويلسون، عن سقوط الحضارة الغربية، ضمن منظومة متسلسلة من البحوث والكتب والدراسات القديمة،التي كانت تتحدث عن سقوط وشيك للعالم الغربي.

علماء الفلك: هناك أيضاً علماء الفلك في هذا الزمان، الذين يكتبون نهايات مفزعة عن الكون بسبب زيادة طاقة

الشمس وحرارتها مثلا، وتمزق أو وجود ثقب ضخم لطبقة عليا معروفة يسمونها (طبقة الأوزون) ويقولون: إن هذا الثقب، إذا ظل يكبر بالمعدلات التي تحدث الآن فسيترتب عليه أخطار تهدد الحياة البشرية كلها، منها مثلاً : زحف الماء على الكرة الأرضية وتغطية مدن بأكملها وغمرها بالمياه، وابتلاع هذه المدن بسكانـــها وإمكانياتها، وتلوث البيئة والجو، وانتشار أمراض منها سرطان الجلد، إلى أشياء أخرى كثيرة مترتبة على هذا الخطر الذي يسمى ثقب الأوزون.

علماء الطب: علماء الطب أيضاً يتحدثون بنفس النظرة، ويتكلمون عن الأخطار والأمراض التي سوف تحدث للبشرية من جراء هذا الثقب، الذي أصبح مرئياً وملاحظاً الآن، وهو يتزايد بسبب كثافة الاستهلاك التصنيعـــي، خاصة في الدول الغربية.

إضافة إلى ذلك، فعلماء الطب يدقون نواقيس الخطر من الأمراض التي أصبحت تفتك بالبشرية، فلم يعد مرض السرطان هو أخطرها، بل أصبح مرض الإيدز الذي يُعَد ضحاياه بعشرات الملايين، وحاملوا الجراثيم مئات الملايين، ويُتوقَّع أن تزداد النسبة

بكثرة في السنوات القادمة، ويقف الطب عاجزاً عن إيقافها، وهذا يهدد السلالات البشرية، ويهدد الحياة على وجه الأرض.

علماء البيئة: أما علماء البيئـــة، فهم يرسمـــون صورة مكبرة لما حدث في المعمل النووي (تشرنوبل) في الاتحـــاد السوفيتي، وقد تسرب من هذا المعمل بعض الإشعاعات النووية، فأثرت تأثيرات ضارة وهددت بكارثة مرعبة.

فهم يقولون: ماذا لو حدث زلزال في أحد المواقع التي تقام عليها مفاعلات أو معامل نووية، وترتب على ذلك تسرب خطير في هذه المواد والإشعاعات القاتلة للناس؟

بل ماذا لو حدثت حرب نووية أو حرب جرثومية بين دولتين من الدول النووية؟ لا بد أن يمتد أثر ذلك وضرره إلى مواقع كثيرة من العالم!

بل ماذا لو تملكت بعض ما يسمونها بالجماعات الإرهابية أو عصابات المافيا، أو المجموعات التخريبية في العالم السلاح النووي؟!

فضلاً عن النفايات النووية التي تهدد الحياة البشرية على وجه

الأرض.

إذن هؤلاء يتوقعون نهاية حادة وحاسمة للحياة البشرية، وأن سقوط الحضارة لا يعني فقط تأخراً أو تراجعاً بقدر ما يعني تهديداً للحياة البشرية على وجه الأرض، أو على الأقل تهديدا للمنجزات الحضارية التي يتمتع بها الإنسان في العالم كله.

وهؤلاء العلماء يتفقون على أن العالم يسير إلى كارثة محققة لا مهرب منها.

يقول كاتب روماني شهير: "إن محاولة إنقاذ العالم حينئذ هي مثل محاولة الفئران أن تهرب من سفينة على وشك الغرق، تهرب من السفينة لكن لتغرق في البحر،فهي بين حرق أو غرق!".

الموقف الشرعي من هذا التصور:

وهذه التوقعات أو الظنون مع أنها الآن لا تؤخذ بعين الجدية، إلا أنها تطرح وبإلحاح من المؤمنين بهـــا، ولكن يجب ونحن نتحدث عنها، أن نتنبه إلى خمسة أمور:

أولاً: هذه الأشياء هي احتمالات قائمة وواردة، وليست

أموراً في دائرة المستحيل وغير الممكن، والمعتاد أن مراكز التحليل الغربية تضع لكل احتمال حساباً، فينبغي أن توضع هذه الأشيـــاء في الاعتبــــار وألا تستبعد استبعاداً كلياً.

ثانياً : من المعلوم أن ثمة حضارات كثـــيرة سادت ثم بادت، وقد ذكر الله تعالى أخبار أمم كثيرة مكن لها وبوأها في الأرض، ثم حكم عليها بالهـــلاك والفناء، فلم يغـــن عنهم بأسهم من عذاب الله شيئاً.

قال الله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ معطلة وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج: ٤٥].

تأمل**!** (فَكَأَيِّن)، إنها قرى كثيرة كانت ممكنة، وذات حضارة، وقصور مشيدة، وقوة وعروش، ثم خوت على عروشها، وعطلت آبارها، وقصورها المشيدة.

فهذا الأمر عبرة للذين يعقلون، ويدركون سنن الله تعالى في عباده أفراداً، وأمماً، وجماعات.

ثالثاً : ثمة نصوص شرعية وأحاديث نبوية توحي بأن العالم سيعود إلى العصور البدائية في آخر الزمان، وسيستخدم السلاح الأبيض، ففي صحيح مسلم لما ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الملاحم الكبرى التي تقع قرب الساعة وقبل ظهور المسيح الدجال، ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الفرسان الذين يفتحون القسطنطينية، ويعلقون سيوفهم على شجر الزيتون!".[1]

إذن فهم يقاتلون حسب ظاهر النص النبوي على الخيول، ويحملون السيوف ونحوها ويقاتلون بها.

وهذا قد يدل –والله تعالى أعلم– على أن ما توقعه العلماء والخبراء من نكسة للحضارة الغربية أمر وارد ومتوقع!

على أن بعض الدارسين للنصوص النبوية قالوا: إن ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم لا يلزم أن يكون مقصوداً به السيف ذاته أو الخيل نفسه، بل قد يكون هذا تعبيراً عن السلاح الذي يستعملونه أياً كان، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عبر

---

(1) أخرجه مسلم (٥١٥٧) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه كتاب الفتن.

عنه باللغة التي يفهمها المخاطبون يومئذ.

رابعاً : أن المسلمين وأهل الديانات السماوية أيضاً، يؤمنون بالساعة وأنها ستقع، وهي التي ستدمر الحياة الدنيوية ونظامها المعتاد، وتنقل الناس إلى العالم الأخروي.. عالم الجزاء والحساب، فمنتهى ما على الأرض من الحضارات ومظاهر القوة إلى هذا الزوال الحتمـــي.

خامساً : أن أمريكا بالذات برزت بسرعة، فبروزها كقوة عالمية وقيادة دولية كان بعد الحرب العالمية الثانية، وخلال نحو من خمسين سنة، تبوأت هذا المنصب الكبير كشرطي للعالم اليوم.

والغرب ربما احتمى بها خوفاً من الشيوعية التي كانت تهدده، بل وسيطرت على جزء كبير من أوروبا الشرقية كما هو معروف، ولذلك فإن العالم الغربي الآن يريد أن يخلع نير السيطرة الأمريكية من عنقه ويتخلص من هيمنتها عليه.

ولهذا فهناك تناقض صارخ وواضح بين أمريكا وأوروبا الموحدة، وبين أمريكا ودول أوروبا كل على حدة، كبريطانيا، أو

ألمانيا، أو فرنسا، وبين أمريكا والصين، وبين أمريكا واليابان، وبينها وبين دول أخرى.

إذن أمريكا برزت بسرعة؛ ولهذا لا غرابة أن يكون انهيارها سريعا أيضاً، كما تتوقع بعض الدراسات وبعض التحليلات.

إذن هذه صورة تتوقع أن يكون سقوط العالم الغربي سقوطاً متداعياً وسريعاً، يأخذ بعضه برقاب بعض، وينهار دفعة واحدة، وربما يخسر البشر جميع المنجزات الحضارية بسبب ذلك السقوط.

ولكن هذا ليس الذي نعنيه حين نتحدث عن سقوط الغرب أو انحساره، ولسنا نبشر بذلك ولا نتمناه، فإن الإنجاز العلمي والحضاري ليس إنجاز الغرب وحده، بل هو إنجاز تراكمي شاركت فيه أمم وتعاقبت عليه حضارات، وكان للمسلمين مساهماتهم الوفيرة والمميزة فيه، ثم هي في الوقت الحاضر مصالح مشتركة بين الأمم.

• **الصورة الثانية: انكفاء العالم الغربي على نفسه وكف يده عن العالم الخارجي:**

أما الصـــورة الثانية للانهيار، وهي التي غالباً مـــا يرسمها السياسيون في الغرب، فهي لا تعدو أن تكون انكفاء العالم الغربي على نفسه، وانكماشه، وانشغاله بهمومـــه الخاصة، ومشـــاكله الداخلية، وكف يده عن العالم الخارجي.

وهذا الأمر أصبح يمثل تياراً في السياسة الأمريكية يطالب بعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى، والانهماك والانشغال بالهم الداخلي، وأن علاقة أمريكا بالعالم، وما يتطلبه ذلك من تدخل وإرسال القوات ودفع المساعدات إلى غـــير ذلك، هو من أهم أسباب الانهيار الاقتصادي الذي يهددها، ولهذا فإن عليها أن تقلل من حجم تدخلها العالمي.

بل إن بعض صور الديموقراطية الغربية، يخشى أيضاً أن تتحول إلى خطر يهدد أمريكا في نظر السياسيين، فإن مستشار الأمن القومي السابق، واسمه (بريجنسكي) ألف كتاباً اسمه (خارج

نطاق السيطرة)، هذا الكتـــاب يقول فيه: "إن العالم الذي جاء بعد الشيوعية، عالم خطـــر، عالم قلق ومتوتر؛ ويجب أن ندرك المخاطر الناجمة عن الديموقراطية الغربية؛ حيث سيوجد في أمريكا نوع من الإباحية المطلقة، كل شيء مسموح وكل شيء مباح، وبالتالي سوف تتعارض مصالح الأفراد، وسوف يوجد هناك قدر كبير من الأنانية بينهم، توجد انشطاراً في المجتمع وخطراً عظيماً".

إنه عالم يعيش -كما يقول بريجنسكي- حالة غليان بعد انهيار الشيوعية.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الرجل وهو بريجنسكي قد توقع سقوط الشيوعية، عام ١٩٨٧م تقريبا في كتاب سماه (السقوط العظيم)، توقع فيه سقوط الشيوعية كما حدث فعلاً.

إذن هذا اللون من الدراســـات السياسية والاقتصادية يتوقع انحساراً للوجود الأمريكي على نمط ما حدث لبريطانيا، فقد كانت بريطانيا يوماً من الأيام إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس كما يقال، ثم اضطرت إلى التخلي عن مستعمراتها ومحمياتها وعادت

إلى بلادها، ولكنها ظلت محتفظة بتقدمها العلمي والعسكري، وتفوقها ومركزها الدولي، على ما هـــو معروف الآن، وهذا بحد ذاته كاف، فإنه سوف يعطي المسلمين فرصة أن يرتبوا أوراقهم، وأن يعرفوا مصالحهم، وأن يتعاملوا مع من يكون التعامل معه أصلح لهم وأضمن لنجاحهم وحفظ اقتصادهم.

- **الصورة الثالثة : نهاية الحضارة الغربية بسبب صدام الحضارات:**

أما اللون الثالث من الدراسات الغربية فهي الدراسات التي ترسم تصوراً آخر لنهاية الحضارة الغربية، وهو يتمثل فيما يسمونه بالصراع الحضاري، صراع أو حرب، أحياناً مكشوفة وأحياناً خفية وغير معلنة بين الحضارات المختلفة، وهذا يمثله كتاب (**صدام الحضارات**) (لصمويل منجتنجتون) ويعتقد هذا المؤلف أن ثمة صراعا سوف يحدث بين حضارات مختلفة، ويرشح هو ست حضارات في العالم إضافة إلى الحضارة الغربية وهي:

أولاً: الكنفوشوسية / الصين.

ثانياً: اليابانية.

ثالثاً: الإسلامية.

رابعاً: الهندية.

خامساً: الأرثوذكسية السلافية.

سادساً: الأمريكية اللاتينية.

ويرشح بالدرجة الأولى الحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية للمستقبل القريب باعتبارهما أعظم خطر يهدد الحضارة الغربية.

وقد حشد هذا المؤلف كل ما يحتاج إليه من الأدلة والشواهد والإثباتات، على أن الصراع الحضاري هو القادم، وعلى أن الحضارة الإسلامية والصينية هما أخطر ما يهدد الغرب اليوم.

ويتوقع المؤلف أيضاً، وجود نوع من التعاون بين المسلمين وبين الصينيين، وقال إن هذا يهدد الحضارة والقيم والمصالح الغربية.

هذه الدراسة (صدام الحضارات) تعطي الدين أهمية قصوى في الصراع بين الحضارات، ولذلك ينظر المؤلف إلى الصراع

العربي اليهودي على أنه صراع بين دينين، وهما الإسلام واليهودية، ومثل ذلك الصراع بين الجمهوريات السوفييتية، يعتبره صراعاً دينياً.

إذن هناك صراع حضاري، منوع في كل المجالات، صراع فكري، وصراع ديني وعقائدي، وصراع علمي، وصراع سياسي، وصراع اقتصادي، فهو صراع حضاري شامل.

- **الاحتمالات الناشئة عن الصراع الحضاري:**

أمام هذا الصراع هناك عدة احتمالات:

الاحتمال الأول: تغريب العالم، وهو يعني تحويل العالم إلى عالم تابع للغرب، مُسلم بنظرياته، وقيمه، وأخلاقياته، وحضارته.

وهذا احتمال غير ممكن ولا وارد.

الاحتمال الثاني: الصدام الحضاري، وهو يعني الصدام بين الحضارات والمواجهة بينها، وهو ما توقعه المؤلف وذهب إليه.

الاحتمال الثالث: انتصار قيم التسامح الثقافي، والحوار بين

الحضارات، والمبادئ المشتركة التي تجمع الأمم كلها، و هذا الأمر مستبعد جدا.

إذن المؤلـــف رجح أنه سوف يكون هناك صراع بين الحضارات ولذلك أوصى الغرب – باعتباره واحدا منهم – بقوله: "يجب أن نرص الصفوف الغربية أمام التحدي الإسلامي، والتحدي الصيني، يجب أن نطور نوعا من الوحدة بين أمريكا وأوروبا، يجب إيجاد علاقة تعاون على أقل تقدير بين أمريكا وروسيا وبين أمريكا واليابان، يجب ألا نذهب بعيدا في تخفيض القدرة العسكرية الغربية".

وهذا الكتاب (صدام الحضارات) قد يكون ردة فعل للمد الأصولي العالمي، والتوجهات الدينية الموجودة في الإسلام، وفي بقية الديانات الأخرى، وكأنه يدعو أمريكا إلى أن تعتصم بمعطياتها، وخصائصها، في مواجهة قوم مسلمين، يؤمنون بدين، وينتمون إليه انتماءً عريقاً.

كما أن هذا الكتاب يكشف حرج القوى الغربية؛ أمريكا

وغيرها؛ إزاء ما يسمـــونه بالديمـــوقراطيـــة في العالم العربي والإسلامي.

فهو يقول لنا: إن الديموقراطية مع أنها هي البديل الذي يقدمه الغرب ويتبناه ويبشر به، إلا أنها في الوقت نفسه خطر في العالم الإسلامي؛ لأن الديموقراطية الحقيقة لو طبقت هناك فإنها سوف تدعم قوى معادية للغرب، على نمط ما حدث في الجزائر مثلا، أي أنها سوف تدعم التوجهات الأصـــوليـــة(1) التي تكتـــسح الشـــارع العربي والإسلامي.

وبالمقابل فإن رفض الديموقراطية في العالم الإسلامي، سوف يكرس التذمر والتوتر والقلق الاجتماعي والسياسي، ويجعل الرفض والغضب الشعبي يتفاقم يوما بعد يوم.

وهذا الطرح، وهو طرح الصراع الحضاري، هو في نظرنا طرح معقول في الجملة، وإن كان مقلقاً للعلمانيين؛ لأنه يقتضي الاعتصام بالدين، وسوف يجعل كل أمة تعود إلى دينها وعقيدتها

---

(1) إطلاق مصطلح " الأصولية" على الجماعات الإسلامية المتنوعة. تعبير غربي خاطئ وغير منطبق المعنى على أكثر التوجهات الإسلامية.

وتراثها الصحيح، تعتصم به أمام من يحاربونها بدين مختلف وعقيـــدة مختـــلفـــة وتراث مغاير وخصائص تاريخية مميزة.

ولذلك يقول البعض: إذا صح هذا التوقع في صدام الحضارات، فإن النصر سيكون لأكثر التيارات تشدداً وانغلاقاً في جميع الحضارات، وسيكون النصر بالنسبة للمسلمين مثلاً، حليفاً لما يسمونها بالتيارات الأصولية التي تدعو إلى رجعة صادقة وكاملة إلى الدين في جميع ميادين الحياة.

ومثل ذلك سيكون في الديانات الأخرى كالنصرانية واليهودية والهندوسية، حيث سيكون النصر فيها حليفاً للتيارات المتشددة، خاصة إذا كانت تلك التيارات تملك قوة الاستقطاب والتأثير في الجماهير.

هذه ثلاث صور متوقعة، يمكن أن يتم من خلالها سقوط الحضارة الغربية.

الفصل الثاني

الجهاد ... مهمتنا

ما هي مهمتنا حيال هذه القضية؟

هل مهمتنا أن ننتظر سقوط أمريكا أو سقوط العالم الغربي؟

هل سقوط أمريكا يعني فتحاً ؟!... كلا، فعندما تسقط دولة عظمى في قوتها، فإن الذي سيخلفها من يملك مقومات أكبر من مقوماتها، ومن هو أجدر بالتفوق والغلبة منها، فإن كانت الأمة الإسلامية حينها تملك هذه المقومات، وتحمل هذه المؤهلات، استطاعت المزاحمة والمغالبة، وإلا ظفر بذلك أمم أخرى ربما كانت أكثر طغياناً وبغياً وعلواً ، وخرج المسلمون من بين فكي حيوان مفترس ليقعوا بين فكي حيوان مفترس آخر.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن الأمة لابد أن تجِدَّ في أمر لا يحتمل التهاون ولا التواني.

وإن الحل الذي ينتظر المسلمين يمكن تلخيصه في كلمة

واحدة فقط هي: **الجهاد!**

- **ماذا نعني بالجهاد؟**

والجهاد أشمل من القتال، ولذلك ذُكر الجهاد في القرآن أكثر من القتال، بل ذُكر الجهاد قبل أن يفرض القتال؛ ولذا لا يجوز لنا أن نُبَسِّط القضية، ونختزلها في معركة عسكرية محدودة في بلد من البلدان الإسلامية، أو حتى معركة عسكرية شاملة مع الغرب، وإن كان هذا الأمر وارداً .

وإنما نقول: إن الحياة كلها ميدان للمعركة، والأسلحة ليست هي البندقية والطائرة والدبابة والمدفعية فحسب، كلا بل الفكر سلاح، والاقتصاد والمال سلاح، والتقنية سلاح، والتخطيط سلاح، والوحدة سلاح، وهكذا أسلحة كثيرة!

أما بدأت اليابان من الصفر بعد تدميرها، وإلقاء القنابل النووية على هيروشيما وناجازاكي؟ بلى، لقد بدأت - بعدما استسلمت - من نقطة الصفر، ولكن ظل المشهد ماثلاً يراه أبناؤها وزوارها إلى اليوم، حتى يأخذوا منه العبرة، ويكون دافعاً

لهم إلى الإنجاز والتقدم.

لقد بنت، وخططت، وصممت، وسعت، حتى وصلت إلى مستوى أصبحت فيه قوة تهدد أمريكا في اقتصادها، فينبغي للمسلمين أن يأخذوا الأسوة والعبرة من ذلك.

- **صور الجهاد المطلوبة:**

ومن الجهاد: الدعوة إلى الإسلام في بلاد المسلمين، ليكون الإسلام هو الأساس الذي عليه يجتمعون ومنه ينطلقون.

الدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، ونبذ جميع الأنداد والأوثان والأصنام، التي ما أغنت عن المسلمين شيئا ولا يمكن أن تغني عنهم، ولا يمكن أن يكونوا مسلمين حقاً وهم يرونها بين أظهرهم ويسكتون عنها أو يداهنونها، لا بد من توحيد الله تعالى، وصرف جميع أنواع العبادة له، فلا حب إلا لله، ولا خوف إلا منه، ولا رجاء إلا فيه، ولا عبادة لغيره، ويشمل ذلك كل أنواع العبادة: الصلاة، والدعاء، والذبح، والنذر، والحكم والعبودية كلها تُصرف لله عز وجل، ولا يُشرك في حكمه أحداً.

إن الفرد ينضبط بالتوحيـــد لله تعالى في عمله وتستقر نفسه، ويثمر عقله وينتج، ويصبح إنسانا فعالا مؤثرا في هذه الحياة.

ولا بد أيضا من اعتماد الشريعة الإسلامية في جميع الأنظمة والإدارات، وألا يكون هناك مصدر آخر للتقنين والتشريع غير الإسلام، وعلى كافة المستويات الداخلية؛ في علاقة الأفراد بعضهم ببعض، أو علاقـــة الحاكم بالمحكـــوم، أو علاقة الرجل بالمرأة، أو المستويات الخارجية، في علاقة المسلمين بالدول الأخرى إسلامية أو عالمية.

وكذلك في الاقتصاد، أو الإعلام، أو التعليم، أو العلاقات الاجتماعية أو غيرها، فلا بد أن نسلم لله تعالى في كل ذلك، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا اللذين ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، إذن لا بد من إقامة الحياة الإسلامية في بلاد المسلمين كلها على أساس الإسلام عقيدة وشريعة، وإذا آمنا بذلك وسعينا في تطبيقه بصدق وجِد، فإن التقصير والنقص والخطأ غير المقصود، يصحح على مدى الأيام.

إنه لو وُجد المسلم الواثق بدينه وبمستقبله، والذي يعلم أنه لا حل إلا بالإسلام، ويحرك طاقاته في هذا السبيل، لأدركنا حقا ويقيناً وصدقاً، أننا لن نحرر بلاد الإسلام منهم فقط، بل ونملك مواضع أقدامهم، كما قال هرقل: "إن كان ما تقول حقاً فسوف يملك موضع قدمي هاتين!".[1]

ولا بد من دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، فهو الحل لكل المعضلات الفلسفية التي تعبث بعقولهم، ودعوتهم إلى المنهج الأخلاقي البديل عن الفساد والفوضى والانحراف والأنانية الموجودة في بلاد الغرب، والذي يُؤَمِّن لهم الرحمة والتعاون والأخوة التي يفتقدونها، ولا بد من دعوتهم إلى المنهج التعبدي الذي يربط الإنسان بربه في عالم الماديات والآلة.

ولا بد من دعوتهم إلى الاقتصاد والسياسة على هدي الإسلام، وتقديم المنهج الإسلامي الصحيح من خلال معاهد ومؤسسات تطرح هذا الجانب، فالإسلام جذاب في كل شيء،

([1]) أخرجه البخاري (٦٦٥٧) عن عبد الله بن عباس عن أبي سفيان رضى الله عنهم.

فكما أنه جذاب في عقائده، فهو جذاب في أخلاقه، وعبادته، ومنهجه للحياة، ولا بد من تصحيح النظرة لدى المواطن الغربي عن الإسلام والمسلمين.

ثم لا بد من الإفادة من معطيات العصر، ووسائل الإعلام، ووسائل الاتصال المختلفة، والتقنيات الحديثة، واللغات المتعددة، في إيصال الدعوة إلى أولئك القوم، وشرح الإسلام لهم، فإن من المدهش والمحزن أن تجد مكتبات ضخمة في أمريكا، وبريطانيا، وغيرها، فيها كل كتب الدنيا، ثم إذا بحثت عن الكتب الإسلامية لا تجد أي كتاب موثوق، وفي بعض الأحيان لا تجد إلا الكتب التي تمثل اتجاهاً خاصاً، ككتب الرافضة، أو القاديانية، أو غيرهم من أهل البدع وأرباب الضلال.

أين الطلاب الذين يذهبون من العالم الإسلامي إلى الغرب، ويقيمون في أوساط الأمم الغربية دارسين، أو موظفين، هل حملوا المشعل؟ أم هم منهزمون في داخلهم عقائدياً وحضارياً وإن كانوا يتكلمون بألسنتهم بغير ذلك؟

إن الكثيرين منهزمون أمام الغرب، لا يقدمون الإسلام بقوة، ولا يطرحونه بشجاعة في أخلاقهم وسلوكهم وأعمالهم واتصالاتهم، وجهودهم.

الخاتمة

قبل أن نختم هذا الموضو، فعلينا أن ننبه لأمرين هامين:

- **الأمر الأول: المستقبل مشرق:**

فمع ما ذكرناه عن واقع المسلمين فإن المستقبل مشرق، ومن أجل كلام أكثر تفصيلاً، نطرح هذه النماذج السريعة، التي لا تتسع رسالة صغيرة بهذا الحجم لأكثر منها:

- **النموذج الأول: المجلس الإسلامي الأمريكي:**

هذا المجلس يعمل في مجال دعوة المجندين الأمريكيين، ويديره شخص يتبعه مجموعة من الأفراد، وقد كُوِّن من قبل وزارة الدفاع الأمريكية!

فوُجِد ما يمكن أن نسميه بمكتب للتوعية الدينية خاص بالمسلمين، وأعطتهم الوزارة صلاحيات واسعة، ونظمت لهم رحلة حج قام بها معهم ذلك المسؤول، ومنحت ذلك المسؤول رتبة عليا، وأعطته فرصة أن يدخل إلى جميع القواعد العسكرية

الأمريكية بحرية، أو جوية، أو برية، ويتفقد أحوال المسلمين هناك، وينظم جداول لزيارتهم، ومحاضرات ودروس تلقى عليهم، وكتب وأشرطة توزع بينهم، وجعلت هناك تعميما على جميع مؤسساتها للمواصفات المطلوبة حول الطعام والشراب الذي يقدم للجندي أو الضابط المسلم، وحول الأعياد التي يسمح له بالاحتفال بها، من أجل مراعاة المسلمين، ومنح الحرية لهم حتى داخل الجيش الأمريكي.

فضلاً عن تكوين بعض المواد الإعلامية، من أفلام وأشرطة للتثقيف، والتدريب، والتعريف بدين الإسلام، وحرية دعوة غير المسلمين إليه أيضا، وكذلك دفن الموتى على الطريقة الشرعية.

وإضافة إلى هذا كله، فقد سمحت وزارة الدفاع الأمريكية بأن يعلن هذا المجلس عن نفسه في جميع المطبوعات، والمجلات والصحف، التي تصدرها وزارة الدفاع.

إذن أمامنا فرص لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، لو كنا جادين صادقين، وقد تكون هذه الفرص أحياناً ومع الأسف،

أعظم وأكبر من الفرص الموجودة في بعض الدول العربية والإسلامية.

- **النموذج الثاني: مركز الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بأنقرة في تركيا:**

وهو مختلف بطبيعة الحال وإنما المقصود التنويع، وقد عقد هذا المركز مؤتمراً تعاونياً للمرة الثانية، حضره مجموعة من العلماء المسلمين في مصر وبلاد المغرب وباكستان والهند وغيرها، وقد تفرعت عنه عدة لجان، منها لجنة خاصة بالعلم والتكنولوجيا، وأصدرت توصيات كبيرة وعظيمة، ولكنها نظرية بطبيعة الحال، ولجنة أخرى للتنظيم والتشكيل، أوصت بتقسيم العالم الإسلامي إلى أقاليم وولايات وأقسام والتركيز عليها، ولجنة ثالثة للعمل التربوي في أوساط المسلمين، ولجنة رابعة للإعلام الإسلامي وتقديم البديل، ولجنة خامسة للمناهج الاستراتيجية، وخرجت بتوصيات كبيرة وبناءة، لكن المهم والأخطر أن هذا المؤتمر لم يحدد الجهة التي يمكن أن تنفذ هذه التوصيات، وهذه هي المشكلة الحقيقية.

فمن الممكن جدا أن يرسم - حتى الفرد الواحد - توصيات كثيرة، لكن من الذي يتولى التنفيذ في ظل غياب الإدارة الصحيحة من المسلمين حكومات وشعوبا وأفرادا؟

- **النموذج الثالث: دولة ماليزيـــا:**

فنسبة الارتفاع في معدلات النمو في ماليزيا ٧-١٠بالمائة باطراد.

فحققوا تكريما لليد العاملة الماليزية، ونقلا للتقنــية والتصنيع، وتقدماً اقتصادياً، حتى إنهم يصنعون الآن بعض الصناعات الثقيلة من السيارات والمكيفات والآلات والأسلحة.. وغيرها، حتى إن السيارة التي يستقلها رئيس الوزراء هي نفسها سيارة من صناعة محلية، وهي تجربة ضخمة تستحق الدراسة.

وربما يكون ذلك الذي لحظه صاحب صراع الحضارات وعبر عنه بالتعاون الإسلامي الكنفوشوسي أي التعاون بين المسلمين والصين، ربما لحظ وجود نوع من التقارب بين ماليزيا والدول الآسيوية وبين الصين واليابان وبعض تلك الدول، وهذا أمر جيد ينبغي أن يهتم به المسلمون، فيكون هناك نوع

من التعاون المتبادل في مجالات التقنية، والاقتصاد، والصناعة، وغيرها بين المسلمين وبين تلك الدول كبديل عن العالم الغربي الذي أثبت انحيازه لليهـــود، وانحيازه للنصـــارى في البوسنة، وتعصبه للمصالح الذاتية والشخصية.

- **الأمر الثاني: إيجابيات في الحضارة الغربية:**

ونحن نختم حديثنا عن الغرب فلابد أن نتحدث ونشير إلى بعض الإيجابيات في الحضارة الغربية، حيث يظن البعض أننا نتجاهل الإيجابيات العظيمة الموجودة في المجتمع الغربي، وأننا لا ننظر فقط إلا إلى الجانب المظـــلم منه! كلا، وإنما طبيعة الموضوع تقتضي التركيز علـــى ذلك، وإلا فهناك إيجابيات عظيمة نذكر منها ثلاثا وباختصار، وإنما اخترناها؛ لأنها تتعلق بموضوعنا، وهي:

- **أولاً**: الغرب صادق مع نفسه، وواضح، ومباشر، ومهتم بعرض المشكلات، ومعالجتها في الهواء الطلق؛ بل والغرب يرصد الميزانيات الضخمة لمثل هذا العمل، أي دراسة المشاكل الموجودة

وتحليلها، ويقيم المراكز ويتيح لوسائل الإعلام تلفزة أو صحافة، كل الوسائل التي تضمن قدرتها على معالجة المشكلات وعرضها.

أما نحن المسلمين فنتعمد أسلوب التعتيم، والتعمية، والتستر على المشكلات، ونعتقد أن الصمت والزمن كفيلان بحل المشكلات، مع أنهما ربما يكونان سببا في زيادتها وتفاقمها..!

مثال: (**أمة معرضة للخطر**)، كتاب من إعداد لجنة مكونة من ثمانية عشر خبيراً، يمثلون جميع القنوات الغربية الأمريكية، درسوا على مدى ثمانية عشر شهراً، ثم أعدوا تقريراً نشر في العالم، وفي جميع وسائل الإعلام، يتكلم عن الخطر الذي يهدد أمريكا من خلال عملية التعليم، ويدعو إلى الإصلاح.

وما قالوا إنه تقرير سري، ولا خاص، ولا رأوا أن في نشره إثارة لفتنة، ولا تقليلاً من ثقة الشعب بحكومته!

مثال آخر: الموضوع الذي نتحدث عنه الآن، فقد ذكرنا مجموعة من الكتب التي نشرت في أمريكا، وهي تتحدث عن سقوط أمريكا وانهيارها وتراجع اقتصادها.

فمفهوم التقهقر الغربي يعالج، ويطرح على خطورته وعلى حساسيته، والكتب والصحف والمجلات أصبحت تتناوله بوضوح؛ لأنهم يدركون أن السكوت عن هذا أو إغماض الأعين لا يعني أن الغرب أصبح يترقى، ولا يعني أن الانهيار توقف.

أما نحن المسلمين فنقول دائماً وأبداً : نحن بخير وجميع الأمور على ما يرام.

- **ثانياً**: ومن الميزات أيضا أن الغرب علمي ودقيق، فهو يعتمد على الرصد والإحصاء والدراسة، ولديه آلاف المراكز، وهو يعمل في أحيان كثيرة استبيانات، ودوريات متواصلة للتأكد من نظرة الناس إلى شيء وقناعتهم به، سواء كان ذلك الشيء رئيساً، أو قراراً، أو حركة، أو حدثاً معيناً.

ولا يعتمد على مجرد التمنيات، أو الظنون، أو الحدس، أو التخمين أو ما يريده الإنسان أو يحبه.

- **ثالثاً** : الغرب يعطي الإنسان الغربي قيمة كبيرة، ويبدو ذلك في مجالات عديدة، في المجال السياسي ونظامهم الديموقراطي الذي

ساهم في تطويل مدة بقاء الأمم الغربية؛ لأنه نظام -وإن كان غير إسلامي قطعاً- يقوم على إعطاء الفرد قيمته في الاختيار، حتى اختيار العمدة في الحي، أو الرئيس في هذه الإدارة أو تلك، فضلا عما فوقها!

ولذلك سقطت الشيوعية بسرعة؛ لأنها تقوم على الديكتاتورية ومصادرة قيمة الفرد، أما الأمم الغربية فقد تأخر سقوطها؛ لأنها أعطت الفرد قيمته، ومثل ذلك في المجال التعليمي والإعلامي والاجتماعي، فإن الفرد في الغرب يشعر بقيمته وأهميته على كل صعيد، أما في كثير من بلاد العالم الإسلامي، فالفرد مسحوق ليس له قيمة ولا وزن ولا اعتبار.

وهناك ميزات أخرى في الحضارة الغربية لبسطها مقام أخر، ويفيدنا كثيراً التعرف عليها والاستفادة منها.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس